عاد الثانية ..

كيف نعرفها؟!

عاد الثانية ..

كيف نعرفها؟!

جعفر مرتضى العاملي

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأولَى * وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾[1].

﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾[2].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾[3].

﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[4].

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلاَ إِنَّ عَاداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْداً لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾[5].

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلاَء اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[6].

---

(1) الآيتان 50 و 51 من سورة النجم.

(2) الآية 52 من سورة هود.

(3) الآية 15 من سورة فصلت.

(4) الآية 59 من سورة هود.

(5) الآية 60 من سورة هود.

(6) الآية 69 من سورة الأعراف.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلاَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ الله قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ الله وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَ قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(1).

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِيناً﴾(2).

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلاَء الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(3).

﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾(4).

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلاَ أَبْصَارُهُمْ وَلاَ أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ الله وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾(5).

---

(1) الآيتان 246 و 247 من سورة البقرة.
(2) الآية 36 من سورة الأحزاب.
(3) الآية 69 من سورة الأعراف.
(4) الآية 59 من سورة هود.
(5) الآية 26 من سورة الأحقاف.

تقديم وتمهيد:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين، محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة على أعدائهم أجمعين، إلى قيام يوم الدين..

وبعد..

فقد تحدَّث القرآن الكريم عن قوم عاد، الذين كانوا بعد قوم نوح «عليه السلام»، في العديد من المناسبات، ووصفهم بعاد الأولى في قوله عز وجلَّ: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأُولَى * وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾[1].

ولم يصف قوماً غيرهم بهذا الوصف: «الأولى»..

فدلَّ بذلك، بنحو أو بآخر: على وجود عاد «ثانية»، سوف يلدها رحم الزمان بعد عاد «الأولى».

فكيف يمكن التعرف عليها، وتلافي السلبيات التي يمكن أن تأتي بها؟!

سنحاول في بحثنا هذا استنطاق الآيات القرآنية لفهم هذا الموضوع، والجواب على هذا السؤال.. وما التوفيق إلا من عند الله تبارك وتعالى..

---

(1) الآيتان 50 و 51 من سورة النجم.

فنقول:

إن الروايات الشريفة قد فتحت كوَّة ضوء يمكن أن نتلمس من خلال ما تبثه من نور في حنايا الديجور، بعضاً من سمات وصفات عاد الثانية..

وهذه الكوة هي التي رسمها لنا الرسول الأعظم «عليه السلام» في قوله: «لتركبن سنن من كان قبلكم، حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة حتى لا تخطئون طريقهم الخ..»[1].

وفي نص آخر عنه «صلى الله عليه آله»: «تأخذون كما أخذت الأمم من قبلكم، ذراعاً بذراع، وشبراً بشبر، وباعاً بباع، حتى لو أن أحداً من أولئك دخل جحر ضب لدخلتموه»[2].

وفي نص آخر: «لتركبن سنن من كان قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو أن أحدكم (الصحيح: أحدهم) دخل جحر ضب لتبعتموهم (لدخلتم)»[3]، أو نحو ذلك.

---

(1) تفسير القمي ج2 ص413 وتفسير العياشي ج1 ص303 وبحار الأنوار ج28 ص8 وج29 ص450 ومستدرك سفينة البحار ج5 ص185 وج6 ص513 والبرهان (تفسير) ج2 ص267 وج5 ص617 وكنز الدقائق (تفسير) ج4 ص78.

(2) الأمالي للطوسي ص266 وبحار الأنوار ج28 ص6 ـ 7 عنه، وص8 عن أبي هريرة، ومستدرك سفينة البحار ج6 ص444 ومجمع البيان (تفسير) ج5 ص86 والبرهان (تفسير) ج2 ص878 وجامع البيان (تفسير) ج10 ص225 والكشف والبيان للثعلبي ج5 ص66.

(3) راجع: مسند أحمد (ط دار صادر) ج2 ص325 و 511 وج3 ص84 و 89 وسنن ابن ماجة ج2 ص1322 وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج4 ص144 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص170 وج15 ص235 وصحيح مسلم

وعلى هذا الأساس يمكن تقصي النصوص التي صرحت أو ألمحت إلى أحوال قوم عاد الأولى، لكي يتم عرضها على أحوال الأقوام الحاضرة، لمعرفة مدى التشابه بين الفريقين في اهتماماتهم، وتصرفاتهم، وسياساتهم، وسائر مفردات حياتهم.

وهذا ما سنحاوله في بحثنا هذا، ولكننا سوف نقتصر على ما ورد لقوم عادٍ «الأولى» من صفات وسمات: سلوكية، وأخلاقية، ومعيشية في القرآن الكريم، وما وصف الله تعالى به حياتهم، واهتماماتهم، وآمالهم، وما يسعون له، ويفكرون فيه، ومواقفهم الرافضة للحق، وجحودهم، وعنادهم، وإجرامهم، وغير ذلك..

بالإضافة إلى سياساتهم القائمة على الجبارية، والإستكبار والبطش.

(ط دار الفكر) ج8 ص57 و (ط دار الكتب العلمية) ج16 ص189 وصحيح ابن حبان (ط دار الفكر) ج6 ص192 و (ط مؤسسة الرسالة) ج15 ص95 والمستدرك للحاكم ج4 ص455 ومجمع الزوائد ج7 ص261 والدرر لابن عبد البر ص225 والجامع الصغير ج2 ص401 وكنز العمال ج11 ص134 والدر المنثور (ط دار الفكر) ج7 ص466 وجامع البيان (ط المعرفة) ج10 ص121 والجامع لأحكام القرآن (ط دار الكتب العلمية) ج8 ص200 وتفسير القرآن العظيم (ط دار إحياء التراث العربي) ج4 ص152 وجامع المسانيد والمراسيل (ط دار الفكر) ج6 ص23 وج8 ص179 واللؤلؤ والمرجان (ط دار الفكر) ج1 ص827 والفتح الكبير (ط دار الفكر) ج3 ص8 و 334 والمصنف للصنعاني (ط دار الفكر) ج11 ص369 وراجع: كتاب سليم بن قيس (تحقيق الأنصاري) ص163 والإفصاح للمفيد ص50 والتعجب للكراجكي ص88 والطرائف لابن طاووس ص380 وبحار الأنوار ج31 ص144 وج53 ص140.

كما أننا لا بد أن نستعرض السياسات الإلهية مع هذا النوع من الناس، وكيف تعامل معهم، ونوع العقوبات التي أنزلها بهم..

فإلى ما يلي من مطالب، قد تكون مفيدة للراغب..

الفصل الأول

العطاء الرباني، والإمداد الإلهي..

عاد في سماتها وإمكاناتها:

إن الآيات القرآنية الشريفة تنبؤنا: أن قوم عاد يتميزون بأمورٍ حباهم الله تعالى بها، وقد أساؤوا فهمها وضيعوها، بل سخَّروها في خدمة أهدافهم الشريرة..

ونذكر من هذه المنح والعطايا:

1 ـ القوة الفائقة:

1ـ أنهم كانوا أُلي قوة فائقة، وقد بلغت قوتهم حدَّاً، جعلهم يعتبرون أنفسهم: أنهم الأقوى من كل شيء، فاستكبروا في الأرض وقالوا: ﴿**مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً**﴾[1].

وقد تضمنت آية أخرى ما يشبه التأكيد على ما لديهم من قوة، فقد قال تعالى: إن هوداً «عليه السلام» قال لهم: ﴿**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ**﴾[2].

فاعتَبَروا أن كونهم هم الأقوى يبرر لهم الاستكبار، والإستعلاء، والإستيلاء على كل ما يمكنهم الإستيلاء عليه، من مال، وجاه، وسلطة، ونفوذ، ثم ممارسة مختلف أنواع الظلم، والجور، والطغيان، والإذلال للناس، وسائر ما

---

(1) الآية 15 من سورة فصلت.

(2) الآية 52 من سورة هود.

يمارسه المستكبرون في الأرض.

مع أن هذا من الأخطاء الفاحشة، والفادحة، والمدمرة، التي لا تبقي ولا تذر، فإن الإستكبار على نحوين:

أحدهما: ما يكون ظلماً يستحق من يمارسه العقوبة، وهو ما يدعو إلى العدوان، والظلم للناس، وإذلالهم، وقهرهم، واحتقارهم.

وهذا هو الإستكبار بغير الحق، وهو: أن يرى نفسه كبيراً، في حين أنه ليس كذلك.. بل هو وضيع وحقير، لأنه يستخدم كل الوسائل في خدمة نفسه وشهواته، وطموحاته الضيقة.

الثاني: الإستكبار بالحق الذي يريده الله تعالى ويحبه، وهو: أن تكون كلمة الكفر هي السفلى، وكلمة الحق هي العليا.. ويكون الحق والخير والمقام والعلم، والمجد للحق وأهله، ويكون هو الأعلى والأغلى.

وقد أبطل الله تعالى قول قوم عاد، وتبجحهم بقوتهم، فقال: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً**﴾(1).

فأولاً: ترى أن الله تعالى: لم يقل: أولم يروا أن الله أشد منهم قوة، لأنه خلقهم، بل ذكر أمر خلق الله تعالى لهم بصورة تبدو طبيعية، وعفوية، ليدل على أنه تعالى يريد لفت النظر إلى عجزهم وقصورهم.

والشاهد على ذلك: أنهم لا يقدرون على خلق شيء، فكيف إذا قورنوا بمن خلقهم، وخلق سائر الأشياء، فإن عجزهم سيكون أبين وأظهر.

---

(1) الآية 15 من سورة فصلت.

ثانياً: إنه يدل على أن هؤلاء لم يتلقوا هذا الإحسان الإلهي إليهم بما يستحقه من شكر وعرفان، يتمثل ـ على أقل تقدير ـ بالخضوع والطاعة، والتعظيم لله، بل هم قد تجاوزوا ذلك إلى ما هو أمر أدهى، فقد جحدوا بآيات ربهم، بل هم قد تحدُّوا ربهم أيضاً، قال تعالى: ﴿**وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ**﴾[1]، وكفروا ربهم أيضاً، قال عز وجل: ﴿**وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلاَ إِنَّ عَاداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْداً لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ**﴾[2].

ثالثاً: ظهر بما تقدم: أنه تعالى قد واجههم بالحجة مع دليلها.

رابعاً: إنه تعالى قال: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ**﴾[3] فقد سدَّ عليهم باب الإنكار، فبيَّن: أن هذا الأمر ليس غائباً وبعيداً عن الإدراك، بل له حضور وجداني وعقلي، وإدراكي، يضارع ما يدرك بالحواس، وبالأخص حاسة البصر التي هي أشد الحواس تأثيراً في ترسيخ يقين الناس، ولا يستسيغون تخطئتها في أي شيء يصل إلى وجدانهم عن طريقها.

خامساً: لو أنه تعالى قال: لأنه خلقهم، فقد يفهم بعض الناس: أن هذا هو الدليل على شدة قوته عز وجل، وليس لخلق السماوات والأرض وما فيهما، وغير ذلك شأن في إثبات هذه الأقوائية له تعالى.

سادساً: ونشير أخيراً إلى أمرين:

---

(1) الآية 59 من سورة هود.
(2) الآية 60 من سورة هود.
(3) الآية 15 من سورة فصلت.

أولهما: أن كلمة «هو» في قوله تعالى: ﴿**هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً**﴾ تفيد: اختصاص هذا الأمر به تعالى، وتنفيه عن غيره..

ولولا هذه الكلمة، لفهم: أنه تعالى قد ذكر نفسه على أنه أقوى منهم، ولكنه لم ينف هذا الأمر عن غيره، فلعل هناك أحداً غير الله يكون أقوى من قوم عاد أيضاً.

الثاني: إنه تعالى لم يحدِّد موارد قوة قوم عاد..

هل هي قوة جسدية، أو هي قوة عسكرية تقوم على الكثرة والتمرس والخبرة؟! أو هي قوة إقتصادية، أو مالية، أو قوة علمية، أو قوة في الفن والعمران، والإبتكار، وغير ذلك؟!

2 ـ البسطة في الخلق:

وقد ذكر الله سبحانه أنه قد حبا قوم عاد بالبسطة في الخلق، فقال على لسان نبيه هود «عليه السلام»: ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلاَء الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[1].

وفي الحديث عن البسطة في الخلق التي منحها الله لقوم عاد نتذكر ما قاله تعالى عن طالوت: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلاَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ الله قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ الله وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَ قَلِيلاً مِنْهُمْ وَالله عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**

---

(1) الآية 69 من سورة الأعراف.

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(1).

ولا بد من لفت نظر القارئ الكريم إلى ما يلي:

ألف: إن الذي استحق به طالوت هذا التكريم الإلهي، واختياره ملكاً على بني إسرائيل ليس هو زيادة البسطة في خلقه وجسمه وحسب، بل لا بد أن تكون معه البسطة في العلم أيضاً.

والبسطة في العلم، إنما يمنحها الله لمن يستحقها، ممن يطلب العلم، ويعرف قيمته.. ولا يمنحها للخامل والعاطل الذي لا يرى ولا يريد أن يرى أبعد من أنفه.

ولأجل ذلك تجد الآيات الكثيرة والمتضافرة، التي تتحدث عن رفض بعض الناس للحق، بالرغم من أنه كان يأتيهم مشفوعاً بالآيات التي كانوا ينكرونها، ويرفضون مضامينها عن علم ودراية، وسابق عزم وتصميم.

فمع كل هذا الجحود الشديد، والظالم، والآثم كما سنبيِّنه إن شاء الله.. لا يبقى مجال للسؤال عن سبب حرمانهم من العلم، ولماذا اقتصر العطاء على البسطة في الخلقة والجسم؟!

وقد وظفوا هذه الهبة الإلهية في معصية الله تعالى، وتكريس ما تدعوهم إليه أهواؤهم، وما يوسوس به الشياطين لهم..

ب: لقد لاحظنا: أن المعايير التي اعتمدها بنو إسرائيل في رفضهم حكم طالوت هي: أنه لم يؤت سعة من المال، وبذلك يكون قد فقد الأهلية لهذا الأمر،

---

(1) الآيتان 246 و 247 من سورة البقرة.

وقد وازنوا بين أنفسهم وبين طالوت في أمر المال، ووجدوا أنهم أحق بالملك منه، لأن ما لديهم من المال الكثير يخوِّلهم ذلك، ويحرم منه طالوت الذي لم يؤت سعة من المال.

إن هذه المعايير هي نفسها التي اعتمدها قوم عاد، لكنهم أعطوا الأفضلية للقوة حين قالوا: من أشد منا قوة؟!

ج: إن الرد الإلهي على بني إسرائيل تضمن:

أولاً: بيان الإخلال بالمعايير المؤهلة لهذا المقام، حيث إن المعيار ليس هو خصوص البسطة في الخلق والجسم، بل لا بد معه من البسطة بالعلم التي يحصل عليها الإنسان بجهده، وعمله، وإخلاصه، وسعيه.

ثانياً: إنه إذا كان الملك لله تبارك وتعالى، فهو الذي يختار له من يشاء من عباد، وقد قال تبارك وتعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِيناً**﴾(1).

عودة إلى الحديث عن قوم عاد:

وإذا لم نرد التوسع في المقارنة بين آية طالوت، وآية قوم عاد، وأردنا أن نستكمل بيان بعض الخصوصيات التي يمكن استفادتها من الآية التي تحدثت عن قوم عاد، فإننا نلاحظ أموراً عديدة، نذكر منها ما يلي:

1ـ أنه تعالى: تحدث عن البسطة في الخلق الذي يعني استيفاء جميع أجهزة

---

(1) الآية 36 من سورة الأحزاب.

الجسد لما تحتاجه في حدِّه الأعلى، بحيث يكون هذا الإستيفاء منبسطاً على جميعها بنحو يحقق التوازن فيما بينها عند قيامها بوظائفها..

وهذه نعمة جميلة وجليلة، إذا وُظِّفت في عمل الخير، وخدمة الحق، وإعزاز أهله.. ولكن عاداً استفادت منها في محاربة الحق وأهله، وإشاعة الفساد في الأرض، والبطش بالناس، وما إلى ذلك.. مما لهجت به صفاتهم، وأساليب عملهم، كما أظهرته الآيات القرآنية.

2 ـ يلاحظ: أن نعمة البسطة في الخلق، قد ذكرت في الآية المباركة مقترنة بالحديث عن نعمة جعل الله تعالى إياهم خلفاء من بعد قوم نوح، فقال عز وجل: ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلاَء الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[1].

والآلاء: هي النعم.

فقد تضمنت هذه الآية ثلاثة أمور، هي:

الأول: أنه تعالى أوجدهم واستخلفهم في الأرض، بعد قوم نوح. ولعل اعتبار ذلك نعمة يذكرهم الله تعالى بها، وبالإستخلاف في الأرض معاً، يرجع إلى أنهم قد رأوا أمام أعينهم آثار العقوبة الإلهية التي نزلت بقوم نوح من خلال الطوفان، وكان سبب هذه العقوبة هو الجحود والاستكبار الشديد، وغير ذلك من صفات قبيحة، مع أن نوحاً بقي يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، ولم يؤمن له طيلة هذه المدة المديدة سوى بضع عشرات، حملتهم سفينة واحدة، صنعها رجل واحد، وحمل فيها بالإضافة إلى من آمن له، من كل زوجين اثنين، من الأنعام وغيرها، بحيث لو قسموا على سني دعوته لظهر

---

(1) الآية 69 من سورة الأعراف.

ـ كما يُستفاد من بعض الروايات ـ: أنه كان يؤمن له في كل اثنتي عشر سنة شخص واحد.

فما أصبر نوحاً على قومه، وما أشد عناد أولئك القوم، ووعورة أخلاقهم، وكلال أفهامهم!!

والصفات التي ذكرها الله تعالى في كتابه عن قوم نوح، وإصرارهم على عدم سماع نصائحه، وعلى عصيانه «عليه السلام»، وعدم القبول بما يأمرهم به قد جعلهم عصاة لرسل الله تعالى، فقد دعاهم نبيهم إلى الله ليلاً ونهاراً، وسراً وعلانيةً، فلم يزدهم دعاؤه لهم إلا فراراً، وكلما دعاهم، جعلوا أصابعهم في آذانهم، وأصروا، واستكبروا استكباراً، وكان هذا منهم بالرغم من كل ما وعدهم الله به من نِعم، وعطايا.

يضاف إلى ذلك: أنهم اتبعوا الأقوياء، وأهل المال، والشوكة، والعتوّ، وطلبوا كثرة الأولاد، الذين يمثلون قوة لهم.

وهذا هو ما جرى لقوم عاد، فقد قال تعالى: ﴿**وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ**﴾[1].

الثاني: ذكرت الآية المتقدمة: أنه تعالى أنعم على قوم عاد بزيادتهم بسطة في الخلق.

الثالث: هناك نعم كثيرة لم يزل الله تعالى يتفضل عليهم بها في كل لحظة وآن، وهم لا يلتفتون إليها، ولا يرون فيها معنى النعمة، ولا يعترفون بأنها

---

(1) الآية 59 من سورة هود.

فضل من الله يجب أن يشكر عليه، بل هم قد نسوها، ولم تعد تخطر لهم على بال.

جعل السمع والأبصار والأفئدة لهم:

ثم قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلاَ أَبْصَارُهُمْ وَلاَ أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾(1).

فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ:

وقد بدأت هذه الآية الكريمة بقوله تبارك وتعالى: ﴿**وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ**﴾.

وفي هذه الفقرة أمور كثيرة تحتاج إلى بيان:

فأولاً: المراد بالتمكين: إثبات الشيء وإقراره في المكان، والتسلط على الشيء من موقع القدرة، واستجماع وسائل التصرف فيه، لاستخراج كوامنه، مهما كان نوعها..

فإن كان الأمر يحتاج إلى المعرفة بالتفاصيل أو الجزئيات، فالمعرفة بها ميسورة، وإن كان يحتاج إلى الأموال، فإن الأموال لديهم متوفرة، ولا يجدون حرجاً في إنفاقها في أي مجال..

وإن احتاجوا إلى الرجال للمعونة، ولإنجاز الأعمال الصغيرة أو الكبيرة، أو لتوفير الأمن، ودفع غائلة مهاجمة الأعداء لهم، فالرجال سامعون مطيعون، ورهن الإشارة في كل حين.

---

(1) الآية 26 من سورة الأحقاف.

وإن احتاجوا إلى القوى الجسدية، فقد زادهم الله تبارك وتعالى بسطة في الخلق، ومنحهم وسائل الإدراك، وهي: السمع، والأبصار، وسواها، وأعطاهم الأفئدة القادرة على تحليل ما يصل إليها عن طريق الحواس.

كما أنه أعطاهم الجرأة والشجاعة، وسائر ما يفيد في هدايتهم، وسعادتهم، وراحتهم، فمع أن بلادهم كانت أحقافاً، أي كثباناً رملية، إلا أن الله تعالى حوَّلها لهم إلى جنات وارفة، وعيون غزيرة وكثيرة.

وأمدهم بالأنعام التي لا تقل أهمية عن الجنات والعيون في توفير الراحة ولذة العيش..

وأمدهم أيضاً بالبنين، الذين يرضون غرورهم، ويرفعون من مستوى العصبية والشعور بالقوة، ووجود من يحرص على نصرتهم، وعلى قضاياهم.

ثانياً: إنه تعالى أسند تمكينهم إلى نفسه، فقال: ﴿**مَكَّنَّاهُمْ**﴾، ولم يقل: تمكنوا.. فهل المراد بتمكينه إياهم: أنه لم يَحُلْ بينهم وبين استعمال قوتهم وإمكاناتهم الهائلة في بسط سلطتهم، وتأكيد هيمنتهم على ما ومن شاؤوا، ثم تسخير ذلك في المجالات التي تحلو لهم، وتنسجم مع طموحاتهم وأهوائهم، وترضي غرورهم، واستكبارهم، وتلبي إرادتهم؟!

أو أنه أراد: أنه تعالى ليس فقط لم يحل بينهم وبين العمل والجد، بل هو قد منحهم ابتداءً أسباب القوة، وبسط لهم في العيش، وأعانهم حتى أنشأوا الجنات، واستنبطوا المياه، والعيون، وجرت الأنهار والينابيع، ونشطت الأشجار، وأينعت الثمار، وكثرت الأنعام، وذلل العسير، وهيمنوا على الكبير والصغير، وعلى المأمور والأمير.

قد يُقال: إنه تعالى قد عاملهم بهما معاً، وذلك بحسب ما يقتضيه واقع الحال في كل مورد، ربما لأنه أراد بذلك تجسيد ما يقتضيه الطبع البشري، حين تتوفر لديه الإمكانات، فإنه يعمل ويكد ويجد، فإذا حصل على ما أراد، فإنه يستكبر ويطغى، قال تبارك وتعالى: ﴿**كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى**﴾[1].. فكيف إذا كان قد بذل بعض الجهد في تحصيل الغنى، فإنه سوف ينزع إلى الخُلق القاروني الذي يقول: ﴿**إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي**﴾[2]. وحينئذٍ يكله الله إلى نفسه، وينتهي الأمر به إلى الصدود عن الهدايات الإلهية، والعقلية، والفطرية، ويزداد غطرسة وجحوداً..

ويمعن في ذلك، حتى يصبح التخلص منه ضرورة لا بد منها.. إذا أريد للحياة أن تستمر، حيث يصبح مِعولاً هدَّاماً للحياة وكل ما فيها من خيرات وقابليات.

والأشر والأضر من ذلك: أن يعطيه الله ابتداءً، ومن دون أن يبذل جهداً يذكر، فإنه قد يتضاعف غروره واستكباره إلى حد يرى أن الله آتاه ذلك عن استحقاق وجده فيه، وأهلية تبلورت لديه.

وربما غلا في تعظيم نفسه إلى حد أن يقول كما قالت اليهود: ﴿**نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ**﴾[3]، أو ما إلى ذلك.

وكان هذا من أهم العبر وأصدقها، وأبعدها أثراً في الوعي البشري، لأنه يجسد الواقع كما هو، ويقدِّمه للبشرية بعُجْره وبجره، ومن دون أن

---

(1) الآيتان 6 و 7 من سورة العلق.
(2) الآية 78 من سورة القصص.
(3) الآية 18 من سورة المائدة.

يتمكن أحد من تزييفه أو التلاعب فيه، فهو من القضايا التي قياساتها معها.

لماذا لم يكن النفي بلم مثلاً؟!:

ثالثاً: قال تعالى: ﴿فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾، فلِمَ لم يقل: لو مكناكم فيه، على ما تفيده لو من معنى الشرطية؟! أو فيما ما مكناكم فيه، أو فيما لم نمكنهم فيه، على ما يستفاد من النفي بهما؟!

وقد يُجاب:

بأن «لو» حرف امتناع، ولا يريد الله سبحانه أن يقول للناس: إن هذا الأمر لا يتكرر، فقد يحتاج إلى تكرار هذا الأمر مرة أو مرات.. كما أنه لا يحتاج إلى الجزم بحتمية الحصول، فلعل الظروف تقتضي حصوله.. ولذا جاء بكلمة «إن» النافية، وليست الشرطية، وإن كان قد يستشم منها معنى الشرط، فتكون مشعرة بعدم إرادة التعبير عن الجزم بالحصول، ولعدم وجود ضرورة للتصريح بالواقع على ما هو عليه.

ولكننا نقول:

لعل ذلك غير ظاهر، ولا مقبول، فإن كلمة «إن» النافية لا تجتمع مع معنى الشرط، ولو على نحو الإشراب أو الإشمام، لأن النفي بـ «إن» لا يلائم معنى الشرطية المفيد للإثبات، ولو على سبيل الشك والاحتمال.. فلا يمكن جمعهما في معنى واحد ولفظ واحد.

إلا أن يُقال: إن النفي بـ «إن» ناظر للماضي والحال، ليكون تمهيداً وتوطئة لإظهار أن المستقبل لا يزال في دائرة الترديد والاحتمال.. ليكون المعنى هكذا: إن المستقبل مرهون بفعلكم، فإن اتّبعتم نهج قوم عاد، فسيصيبكم ما أصابهم،

لأن الله تعالى حين يمدِّكم كما أمدَّهم، فإن الأمر يصبح مرهوناً بكم، فإن استكبرتم وجحدتهم، نزل بكم عذاب الاستئصال..

فليس النفي والإثبات واردين على شيء واحد.

كما أن النفي بـ «ما»، أو بـ «لم» ناظر للماضي والحاضر، ولا يشعر بشيء بالنسبة للمستقبل.

ولا مجال للإعتراض: بأن هذا من استعمال المشترك في أكثر من معنى، وهو ممتنع لأنه جمع بين الضدين..

فإنه يقال: بل استعمال المشترك في أكثر من معنى جائز وواقع، كما هو الحال في موارد التورية، حيث يستعمل اللفظ في معنى، قاصداً إفهام السامع من هذا اللفظ معنى آخر.. وما أكثر التورية في كلام الناس..

وهل اللفظ بالنسبة لمعانيه المتعددة إلا كالمرآة، التي تكشف عن أمور عديدة، مع عدم انخرام وحدة المرآة، بل هو لا يرى المرآة أصلاً، وإنما يرى ما في داخلها؟!

رابعاً: إن كلمة «مَا» في قوله تعالى ﴿فِيمَا﴾ كلمة مبهمة لا يتحدد مصداقها، إلا على سبيل الافتراض والاقتراح الذي لا يسمن ولا يغني من جوع.. وهي تحتمل الانطباق على معنى مفرد، أي «في شيء»، وتحتمل أيضاً الانطباق على جمع مبهم أيضاً، فيكون المعنى: مكناكم في أشياء كثيرة (مبهمة لم نصرح بها لكم).

وهذا الإبهام مقصود هنا، ليشمل المعنى كل ما سعوا إليه، وطلبوا الحصول عليه..

وإذا كان المراد بالتمكين هو القرار والثبات، فهو يشير إلى إعطاء الفرصة، ومنح القدرة على التفكير والتخطيط، من موقع المطمئن على قدرته على بلوغ

أهدافه، وهذا يزيد في جودة العمل وإحكامه، وإتقانه..

وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً:

وذكرت الآية المباركة: أن من الأسباب التي منحهم الله تعالى إياها، وزوَّدهم بها، ليستعينوا بها على بلوغ أهدافهم، وتكون عوناً لهم، وضماناً من الوقوع في الخطل والخطأ ثلاثة أمور، هي:

1 ـ السمع.

2 ـ الأبصار.

3 ـ الأفئدة.

ونحب لفت النظر إلى بعض الأمور التي تساعد على وضوح بعض جوانب المعنى، فنقول:

جَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً:

1 ـ قد ذكر سبحانه وتعالى السمع أولاً، فقد يتساءل المرء عن سبب البدء به، ولم يبدأ بالأبصار، أو الأفئدة مثلاً؟!

ويمكن أن يجاب:

بأن من الثابت علمياً، أن السمع يسبق سائر الجوارح في التكون، وفي القيام بوظائفه، فالجنين يسمع كلام أمه، وربما غيرها أيضاً.

كما أن هذه الحاسة هي آخر ما يموت في الإنسان، وربما يستفاد: أنه لا يموت، كما تدل عليه بعض الروايات، المتضمنة لخطاب أهل القبور، وقد خاطب النبي «صلى الله عليه وآله» قتلى المشركين في بدر وهم في القليب (أي

البئر)، فاعترض عليه بعض المسلمين متعجباً: بأنه كيف يخاطب أمواتاً؟!

فقال «صلى الله عليه وآله»: «ما أنتم بأسمع منهم».

كما أن علياً أمير المؤمنين «عليه السلام» خاطب بعض قادة حرب الجمل بعد قتلهم.

2 ـ يلاحظ هنا: أنه قال: ﴿**وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً**﴾، ولم يقل: خلقنا، فهل ثمة من سبب دعا إلى ذلك؟!

وقد يجاب:

بأن الجعل هو تصرف في المخلوق، وتكوينه بطريقة تجعله قادراً على تلقي الأصوات، وتحويلها إلى الفؤاد ليتدبر أمرها بالنحو الذي يتناسب مع ما حملته له من حالات ودلالات، ليتخذ هو القرار المناسب على ضوء ذلك.

أضاف بعض الإخوة الأكارم قوله: «لعل منشأه عند الجعل، كون الجعل من الأفعال التي تتعدى إلى مفعولين، فيكون من جعل الشيء، لا من جعل أصل الشيء المساوي لخلقه، والله أعلم» إنتهى.

ولو قال: خلقنا لكم سمعاً.. فلربما توهم متوهم: أن السمع شيء مستقل في حقيقته، وفي إفاضة الخلق عليه، مع أنه ليس مستقلاً عن صاحبه، ولا مضافاً إليه، بل هو حالة تنشأ عن كيفية في المخلوق، تجعله قادراً على السمع.

4 ـ ويلاحظ هنا: أنه تعالى يتكلم أيضاً من موقع العظمة والقدرة، والخالق المهيمن، والغني، ذي الجلال والهيبة، كما قد يفهم من كلمة «نا» في جعلنا لهم.

التنكير لماذا؟!

5 ـ وقد قال تعالى: ﴿**سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً**﴾ بصيغة التنكير.. مع أن

الآيات الأخرى التي جمعت بين السمع، والأبصار، والأفئدة، قد أوردتها معرّفة بالألف واللام، فلماذا جاءت منكَّرة في خصوص هذا المورد؟!

فهل كان ذلك لأجل أن لا يتوهم أحد: بأن جعل هذه الأمور لهم إنما هو بمقتضى صفتهم البشرية التي يفترض أن تجمع كل ما يدخل في تكوين الشخصية الإنسانية الكاملة.

مع أن الحقيقة هي: أن هذا الأمر، وإن كان صحيحاً في نفسه من حيث المبدأ، ولكنه ليس بعيداً عن تأثيرات إرادة البشر أنفسهم، فإن أعمالهم تؤثر في تكوين ذريتهم، وتحرمهم من بعض الكمالات الروحية، أو النفسية، وحتى في أجسادهم، أو أجساد أبنائهم وذريَّاتهم، وقد يستمر عامل الوراثة في الامتداد والاستقطاب إلى ما شاء الله، وقد تضاف إليه عوامل أخرى وتراكمات تزيد الطين بلة، والخرق اتساعاً، من حيث تضخم مقتضيات الحرمان، وترسِّخ عوامل تجذره.

ولا يقتصر الأمر على الأعمال الجسدية، بل يتعداها حتى إلى التصورات والإعتقادات، والنوايا، والمشاعر، والأحاسيس، وغير ذلك..

ولعل الأقرب في الإجابة عن السؤال عن سبب تنكير كلمة سمعاً، وأبصاراً، وأفئدة، أن يُقال:

إنه تعالى حين يذكر نعمه على قوم عاد لا يريد تعدادها، وبيان أنواعها، بل يريد بيان خصوصية فيها، هي الأساس، والمعتمد، الذي بنيت عليه السياسة الإلهية في التعامل مع البشر، فيما يرتبط بالهداية والضلال، والجحود والطغيان.

وهي: أن الله تعالى قد أنعم على قوم عاد بالنعم التي تفوق حدود التصور، من حيث الحجم..

فأجسامهم في غاية الإعتدال والكمال، بل لقد زادهم الله بسطة في الخلق، وأمدَّهم بأنعام كثيرة تفوق في كثرتها حد التصور، وأعطاهم بنين هم على هذه الصفة من الكثرة، وأمدَّهم بالأموال الهائلة، وبجنات وعيون، تفوق حد الوصف في كثرتها وجودتها.

وكل ذلك جاء منكَّراً، لكي يعلمنا: أنه في كثرته وجودته، وسائر صفاته لا يمكن تصور مقاديره، ولا بيان حالاته وأوصافه..

وزوَّدهم بوسائل هدايات لا تجد فيها أي ضعف أو قصور، أو اختلال، بل هي في غاية الجودة ومنتهى القوة، فنكَّرها أيضاً، ليدل على عظيم حسنها وقوتها، وأداء وظائفها، بحيث لا يمكن أن توصف..

وقوم عاد: هم الذين بنوا إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد.

وهم الذين كانوا يبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً يَعْبَثُونَ.. بهدف التباهي والتفاخر، ويتخذون مصانع لعلهم يخلدون.

وكانت آلاء الله ونعمه ظاهرة عليهم.

فالتنكير هنا لأجل الإبهام، وليذهب ذهن السامع كل مذهب في تقدير الكثرات، والصفات، والميزات، وتحديد الخصوصيات، ومعرفة الحالات.

ولو جاء بهذه الكلمات الثلاث معرّفة بالألف واللام، لفهم منها: أنه أعطاهم هذا السمع، وهذه الأبصار والأفئدة بالمواصفات والمستويات التي نعرفها لدى عامة الناس.. كما هو المفهوم من مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ السَّمْعَ**

﴿وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾[1].

مع أن الواقع ليس كذلك، بل هو تعالى قد أعطاهم من السمع: أكمله، وأعلاه، وأدقه، وأجوده، وأتمه، وأدومه، وكذلك الحال بالنسبة للأبصار والأفئدة.

وكان يفترض فيهم بعد كل هذه المواهب والعطايا: أن يشكروه، وأن يعبدوه، ولكنهم عوضاً عن ذلك جحدوه، وكفروه، وكذَّبوا رسله، وآياته.

الأبصار والأفئدة بصيغة الجمع:

ويبقى هنا سؤال عن سبب كون الأبصار والأفئدة قد جاءت بصيغة الجمع، مع أن السمع قد جاء بصيغة المفرد.

ويُجاب:

بأن السمع يستعمل في الواحد والجمع، لأنه في الأصل مصدر، فهو يحتمل القلة والكثرة بلفظ واحد، فلا يختلف حاله عن حال الأبصار والأفئدة.

وإنما جمعت هذه الكلمات، لأنها تتحدث عن قوم كثيرين، جعل لكل واحد منهم سمعاً وبصراً وفؤاداً، وهذا هو الموافق للواقع.

هذا هو التسلسل الطبيعي:

1 ـ وقد رأينا: أن البدء في هذه الآية كان بالسمع، ثم بالأبصار، ثم بالأفئدة. وهذه هي عناصر تكوين القرار الصحيح والجازم في ما يتلقاه الفؤاد من المعارف، التي هي خارج دائرة المحسوس الشخصي المباشر، وهي أمور

---

(1) الآية 36 من سورة الإسراء.

ثلاثة:

ـ ما يدرك باللمس.

ـ وما يدرك بالشم.

ـ وما يدرك بالذوق..

وتبقى حاستا السمع والبصر، هما اللتان تحملان إلى الفؤاد ما يرتبط بسبل الهداية، والتمييز بين الحق والباطل، والصحيح والسقيم، والغث والسمين في دائرة المعارف والعلوم، كلِّيها وجزئيها.

ولذا قال تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً**﴾.

2 ـ والسمع يؤدي للفؤاد كل ما يرد عليه من أصوات، فيها ما هو حق وباطل، وحلال وحرام، وصحيح ومكذوب، فيميز الفؤاد بين ذلك كله، ويضع كل شيء في موضعه الطبيعي، ويدفعه إلى دائرة الاختيار والقرار، فإما إلى جنة، وإما إلى نار.

أما البصر، فهو يرى الواقع على ما هو عليه، ولا يرتاب في شيء منه، فهو حق وصدق لا كذب فيه، ثم يورده على الفؤاد، الذي يتكفل بعرضه على معايير المصالح والمفاسد، وما يجوز وما لا يجوز، ليحدد موقعه وموقفه منه.

الأفئدة نموذجاً:

وإذا أردنا أن نقدم نموذجاً عن هذه الثلاثة، فإننا نجد القرآن قد تحدث عن الأفئدة في موارد عديدة، أظهرت جانباً من وظائفها، وخصوصياتها، فذكر مثلاً:

1 ـ أن الأفئدة مسؤولة عن الأعمال.

2 ـ وهي تتأثر بالخوف، فتفرغ مما تحتويه من السكينة والطمأنينة، كما في قوله تعالى: ﴿**وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً**﴾(1).

3 ـ هي تصدق أو تكذب ما تؤديه إليها الأبصار والأسماع. قال تعالى: ﴿**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**﴾(2).

4 ـ يكون فيها الثبات، كما في قوله تعالى: ﴿**لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ**﴾(3). وقد تصبح هواءً، كما في قوله تعالى: ﴿**وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ**﴾(4). أي لا ثبات لها.

5 ـ هي تصغي، أي تستمع بإمالة السمع نحو ما يقال.. قال تبارك وتعالى: ﴿**وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ**﴾(5).

6 ـ هي تميل إلى الأمور التي فيها ما يعجب. قال تعالى: ﴿**فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ**﴾(6).

7 ـ هي تتقلب في حالات القبول والرد..

قال تعالى: ﴿**وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾(7).

---

(1) الآية 10 من سورة القصص.
(2) الآية 11 من سورة النجم.
(3) الآية 32 من سورة الفرقان.
(4) الآية 43 من سورة إبراهيم.
(5) الآية 113 من سورة الأنعام.
(6) الآية 37 من سورة إبراهيم.
(7) الآية 110 من سورة الأنعام.

تجليات قوة قوم عاد:

وقد تجلت قوة قوم عاد في عدة جهات، نذكر منها:

1 ـ زادهم الله تعالى بسطة في خلقتهم.

2 ـ إنهم كانوا أقوياء.

3 ـ إمساكهم بزمام الأمور، وهيمنتهم على البلاد والعباد.

4 ـ قدراتهم السمعية.

5 ـ قدراتهم البصرية.

6 ـ قدراتهم في أفئدتهم.

7 ـ الأنعام الكثيرة.

8 ـ كثرة البنين.

9 ـ كثرة العيون.

10 ـ كثرة الجنات.

11 ـ قدراتهم الفنية والهندسية.

12 ـ العمران المتميز الذي لا نظير له.. قال تعالى: ﴿**إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ**﴾[1].. لا بد أن يراد به المتميز في ضخامته، أو في صلابته، وزخارفه، وغير ذلك من الجهات.

13 ـ كثرة الحصون.. لإظهار القوة والجبروت من خلالها.

14 ـ وكان لهم على رأس كل مرتفع بناء فخم يعدّ آية في الجمال والميزات،

---

(1) الآيتان 7 و 8 من سورة الفجر.

يتفاخرون ويتباهون به، من دون حاجة إلى ذلك، إلا حب الدنيا.. ولإظهار العظمة والملك، والفخامة..

خصوصية في الأمور الثلاثة:

ومن المعلوم: أن الأسماع والأبصار والأفئدة تتفاوت كل واحدة منها مع مثيلاتها بدرجات كبيرة من حيث رهافتها، شدةً وضعفاً، ومن حيث سلامتها، وجودة ودقة أدائها، وطول ثباتها في وجه المضعفات، ومقاومتها للأمراض والأسقام، وغير ذلك.

ولكن الله تعالى قد أمدّ قوم عاد بالأنموذج الأكمل والأتم، لتكون وسائل هداية ورقي لهم، يعمرون بها الأرض، ويكونون عباداً صالحين. ولكنهم نسوا هذه النعم الكثيرة، بالرغم من أن الله تعالى أمرهم بعدم نسيانها، مذكراً إياهم: بأن نجاحهم وفلاحهم مرتبط بها، فقال: ﴿**فَاذْكُرُوا آلاَء الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[1].

ولكنهم نسوا ما ذكروا به، وسخّروا هذه النعم العظيمة والهائلة في معصية الله، وتقويض صروح الخير، وإبطال جهود الأنبياء، وانتهى الأمر بهم إلى تكذيب وجحود آيات الله.. بل إلى جحود الله والكفر به.

قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلاَ أَبْصَارُهُمْ وَلاَ أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ الله**﴾[2].

---

(1) الآية 69 من سورة الأعراف.

(2) الآية 26 من سورة الأحقاف.

سقم وتفاهة أهداف قوم عاد:

وقد قال تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾[1].

وهذا أمر عجيب: أن يعطي الله قوم عاد هذه العطاءات الهائلة، ويمكِّنهم في الأرض، ويجعلهم خلفاء من بعد قوم نوح.. ويرون مصير أولئك القوم الذين نزل عليهم عذاب الاستئصال بواسطة الطوفان، ثم يكون هدفهم من بناء أفخم المباني، والتي تعدّ آية في جمالها، وصفاتها، وسماتها هو العبث، والتباهي والتفاخر، وإظهار العظمة والفخامة، والملك، الذي لا يعدو كونه لذَّة موهومة زائلة، وليس وراء ذلك أي هدف رصين، ومفيد في رقي الإنسان في إنسانيته، أو في معيشته، أو ما يدفعه نحو أي من أهدافه، وفي عمران الأرض، وإسعاد الناس.

كما أنهم يتخذون القصور الفخمة، والحصون المنيعة، لإظهار القوة والجبروت، رجاء أن يخلدوا في هذه الدنيا، وهم على حال من السعادة والراحة.

وهو هدف غير منطقي، ولا مبرر له بعد رؤيتهم ما حلّ بأسلافهم من قوم نوح..

مع أن وجود هذه المصانع[2] لا أثر له في دفع الموت، وليس سبباً للسعادة، فإن السعادة رهن بما هو أسمى وأرقى من ذلك، لأنها ترتبط بالإنسجام مع مسيرة الموجودات، بما لدى الإنسان من رقي في إنسانيته، وصفاء في فكره، وصحة وسلامة في نظرته للكون وللحياة، واعتراف بالحقائق الراهنة، والخضوع

---

(1) الآيتان 128 و 129 من سورة هود.

(2) الحصون، وكل المنشآت التي تساعد على البقاء والخلود، كما أشارت إليه الآية.

للتدبير وللقرار الإلهي، والانسجام مع الهدايات والدلالات التي بلغها أنبياؤه ورسله، من دون جحود، أو استكبار، أو تمرد.

الفصل الثاني

أخلاق.. وسلوك..

الوصل بعد الفصل:

تحدثنا في الفصل السابق عن العطاءات الإلهية، والإمداد الرباني لقوم عاد، الذي بلغ حدَّاً جعلهم يعتبرون أنهم الأقوى، وقد وظّفوا هذه العطاءات الإلهية، والتمكين الرباني في خدمة أغراض تافهة ودنيئة، تصل إلى حدٍّ أنهم يبنون في كل مرتفع آية من آيات الجمال في فنِّها، وهندستها الرائعة، لا لهدف شريف أو لطيف، بل بهدف العبث، وهدر الطاقة والوقت، والمال والجهد في سبيل موهومات لا تسمن ولا تغني من جوع، بل تزيدهم فساداً وبعداً عن الله سبحانه، وعن كل خير وصلاح، وسداد وفلاح..

كما أنهم يبنون الحصون، ويشيدون المباني على أمل الخلود في الحياة الدنيا، مع أن الله تعالى إنما جعلهم خلفاء من بعد قوم نوح، فهم قد خلفوهم في ديارهم، ورأوا آثارهم، وهم أعرف الناس بأخبارهم..

وعرفوا أيضاً أسباب نزول العذاب على أولئك الأسلاف.. فما معنى سيرهم في نفس الطريق الذي سار عليه سلفهم، وهو: الإستكبار، والغرور والطغيان، وتكذيب الرسل، وجحود الآيات، واتهام الأنبياء الدعاة إلى الله تعالى بما هم منه براء، وما إلى ذلك؟!

ولماذا يرتكبون نفس الأخطاء، ويحملون نفس العاهات، ويعتبرون الدعوة إلى عبادة الله سفاهة، والإخبار عن الله وإظهار الآيات والمعجزات

كذباً وإفكاً؟!

ونريد في هذا الفصل ذكر طرف من أخلاقهم، وسلوكهم العام، فنقول:

موقفهم من الهداية الإلهية:

قد ذكرت الآيات الشريفة طرفاً من النعم العظيمة التي حبا الله تعالى بها قوم عاد، وفيها بيانات كافية وشافية، تدل: أن ما لديهم لا يمنحهم فضلاً، ولا يوجب لهم امتيازاً إلا بمقدار ما يوظفونه في ما يرضي الله تعالى، ويسهم في ترشيد إنسانية الإنسان، ويهيئ له أسباب الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة. كما أنه يذكرهم بعجزهم أمام قدرة الله، وأن كل ما لديهم لا يغني عنهم من الله تعالى شيئاً..

ولكنه بالرغم من ذلك لم يقطع أملهم بالحصول على المزيد من القوة، والمزيد من النعم، شرط: أن يلتزموا بالتوجيهات الإلهية، ولا يستفيدوا مما آتاهم الله من فضله في تقويض جهود الأنبياء والأوصياء، والشهداء والعلماء، والأخيار، والاستعاضة عنها بالضلالات والغوايات الشيطانية، والشرور والآثام، وحكم الأهواء وطغيان الشهوات..

وهذا التضييع والتقويض هو ما حصل بالفعل، فإن أعظم جهدهم، وأشد كيدهم، ومكرهم، قد انصبّ على تحطيم أعظم وأقدس، وأثمن نعمة حباهم الله تعالى بها، وهي: نعمة الهداية الربانية، المتمثلة بالأنبياء الذين أشار تعالى إلى كثرتهم، وتواتر مجيئهم إليهم، حتى ملأوا الأرجاء، وظهروا لهم في جميع الأنحاء، يدعونهم إلى الله، وينذرونهم عواقب الجحود والاستكبار..

قال تبارك وتعالى: ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ**

قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾(1).

فإن ردّهم لدعوة الأنبياء بهذه الطريقة لهو من أعجب العجب، فلو أن إنساناً لا يعرف السباحة، وقد وقع في البحر وأشرف على الغرق، ولم يكن عنده إلا رجل أسود البشرة، ومدَّ له يده لينقذه، هل يمتنع من قبولها بحجة أنه يريد رجلاً أبيض مثلاً؟! ولو كان مريض مشرف على الموت، ولا يوجد إلا طبيب من عائلة معينة؟!

أو أن الطبيب شيخ وليس شاباً، فهل يمتنع من قبول العلاج، ويؤثر الموت على معالجة ذلك الطبيب له؟!

ولو وردت عليه رسالة، من أحب الخلق إليه، هل يمتنع عن استلامها لأن الرسول قصير القامة، أو عريض الهامة، أو كبير العمامة مثلاً؟!

وهل يختلف الحق الذي يأتي به الطويل عنه لو جاء به القصير، والحال أن المضمون، والحروف والكلمات واحدة؟!

وهكذا يقال لو جاء البشر بالهدايات الإلهية، أو جاء بها الملك.. فإنه لا فرق بينهما من الناحية العملية، حيث يجب النظر إلى ما قال، لا إلى من قال..

وقد واجه قوم عاد الهداية الإلهية بنفس الأساليب التي واجهها بها قوم نوح، أو أكثرها.

ونذكر من ذلك:

1 ـ الإعراض عن دعوات الأنبياء.. قال تعالى: **﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ**

---

(1) الآيتان 13 و 14 من سورة فصلت.

﴿أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[1].

2 ـ اتِّهام الأنبياء «عليهم السلام» في عقولهم، فقد قالوا لنبيهم: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾[2].

والسفاهة هي خفة العقل.

وفي آية أخرى قالوا: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾[3]. أي أصابك في عقلك.

3 ـ تكذيبهم لهود «عليه السلام».. فقد قالوا له: ﴿وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[4].

وفي آية أخرى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾[5].

وقالوا لهود «عليه السلام»: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[6].

4 ـ الجحود بآيات الله، قال تعالى: ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾[7].

وقال عز وجل: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾[8].

5 ـ عدم استعمال عقولهم، كما قد يفهم من قوله تعالى على لسان هود

---

(1) الآية 13 من سورة فصلت.

(2) الآية 66 من سورة الأعراف.

(3) الآية 54 من سورة هود.

(4) الآية 186 من سورة الشعراء.

(5) الآية 138 و139 من سورة الشعراء.

(6) الآية 22 من سورة الأحقاف.

(7) الآية 15 من سورة فصلت.

(8) الآية 59 من سورة هود.

«عليه السلام»: ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1].

فقد يفهم من هذا: أن قوم عاد كانوا يخشون أن يطلب الأنبياء منهم أجراً أو امتيازاً، أو مكافأة على إنذارهم لهم، أو نحو ذلك، فكان ذلك من جملة الدواعي لهم لتكذيبهم.

6 ـ أنهم عصوا رسله، قال تعالى: ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾.

7 ـ الإتباع للجبابرة. كما قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[2].

8 ـ الإستهزاء بما يخبرهم به الرسل، قال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[3].

9 ـ اعتبروا دعوة الأنبياء لهم صرفاً لهم عن الحق ـ بزعمهم ـ الذي هو معبودات آبائهم إلى الباطل الذي هو عبادة الله الواحد الأحد.

وهذا منهم تزوير للحقيقة، وباطل، وقبيح.

المستبصرون:

ثم كانت المصيبة الأكثر هولاً من ذلك كله: أن ضلالهم هذا قد جاء بعد استبصارهم، وتذوقهم حلاوة الهداية إلى الحق والخير..

والضلال بعد الهداية من أعظم الخذلان، وهو أشد قبحاً وسوءاً من

---

(1) الآية 51 من سورة هود.

(2) الآية 59 من سورة هود.

(3) الآية 26 من سورة الأحقاف.

أي شيء آخر، فقد قال تعالى: ﴿**وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ**﴾(1).

وهذا ما يضاعف حسرتهم، ويزيدهم عذاباً فوق العذاب.

ونلاحظ: أنه تعالى قال: ﴿**وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ**﴾ ولم يقل كانوا: مبصرين.

ولعل سبب ذلك: أن المبصرين يرون الأمور مباشرة.. أما المستبصر، فيراها بدلالة ومعونة الغير، كالنبي أو الإمام، أو غيرهما..

هذا إن كان ذلك الشخص طالباً للرؤية، وإن صدّ عنها فقدها، ولو كانت بدلالة غيره.. ويختم الله على قلبه، وسمعه، ويجعل على بصره غشاوة، وإن رأى شيئاً جحده.

وهذا هو حال قوم عاد.. فإن تزيين الشيطان أعمالهم لهم قد منعهم من رؤية السبيل الموصل للحق، وألهاهم بها عن التفكير فيما عداها.

وعد الله تعالى لقوم عاد:

وقد أعطى الله قوم عادٍ أنواعاً من النعم العظيمة، في أنفسهم وفي سائر ما يرتبط بهم، وأمدهم بالأموال الهائلة، والجنات الوارفة، والعيون الغزيرة والكثيرة، ومكنهم في الأرض، ومنحهم من القوة ما دعاهم إلى التبجح، وادِّعاء التفوق بها على كل ذي قوة..

نعم، لقد أعطاهم كل ذلك وسواه، ووعدهم بأمرين، فقال لهم من خلال نبي الله هود «عليه السلام»: ﴿**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ**﴾(2).

---

(1) الآية 38 من سورة العنكبوت.

(2) الآية 52 من سورة هود.

فقد رأينا في هذه الآية أنه:

أولاً: أمرهم «عليه السلام» بالإستغفار، لأن الإستغفار مقدم على التوبة، لأن المطلوب ممن ارتكب جرماً هو التخلص ـ قبل كل شيء ـ من تبعات جرمه الذي ارتكبه.

وجرم قوم هود هو: أنهم جحدوا ربهم، وكفروه.. أي ستروه ولم يحضروه في قلوبهم، وفكرهم، واعتقادهم، وادَّعوا: أن آلهتهم التي يعبدونها هي التي تخلق وترزق، وتمرض وتشفي، وتميت وتحيي، وما إلى ذلك..

وهذا محض افتراء وعدوان على الله تبارك وتعالى.

ثانياً: إنه بعد أن يتخلص من تبعات جرمه يطالب بالتوبة التي قوامها العزم على عدم العود.

وهذان الأمران ينتجان أمرين:

أولهما: أن استئناف العمل الصالح، واستباق الخيرات يكون سبباً في زيادة البركات، وإفاضة النعم، كما قال سبحانه في هذا المورد، وكما تقرر في قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾[1].

وقد يفهم من قوله عز وجل: ﴿**يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا**﴾: أن قوم عاد كانوا يعانون من شحٍّ في الأمطار، ولو في فترة خاصة، لا توجب بوار جناتهم، أو ذهاب نضرتها، ويخشون من تأثير ذلك على غزارة عيونهم، ويباس

---

(1) الآية 96 من سورة الأعراف.

زرعهم، وعلى جودة وكثرة ثمارهم، ويوجب ذهاب خصب حقولهم، وخمود نضارة جناتهم.

ويمكن تأييد ذلك: بأن قوم عاد حين قالوا لنبيهم: ﴿**فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾[1].. جاءت الآية الآخرى لتقول: ﴿**فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا**﴾[2].

فظنهم: بأن العارض ـ أي السحاب المعترض في الأفق ـ يحمل لهم مطراً، واستبشارهم بذلك، حيث قالوا: ﴿**هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا**﴾، يدل على أنهم كانوا يحتاجون إلى هذا المطر..

والحديث عن تأثير الإستغفار والتوبة، والإيمان والتقوى في زيادة البركات والنعم دليل على تأثير الأعمال الروحية والنوايا، والإعتقادات في الحوادث الكونية، فإن كانت صالحة جاءت بالنعم والخصب والخيرات، وإن لم تكن كذلك، فإنها تأتي بالبلايا والرزايا، وسواها.

ويلاحظ مدى التشابه بين هذه الآية، وبين قول نوح «عليه السلام» لقومه: ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا**﴾[3].

الثاني: أنه تعالى قال لهم: ﴿**وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ**﴾. وهذا أيضاً يدخل في صميم أمنيات قوم عاد، وما يفكرون به، ويطمحون إليه، ويفاخرون به

---

(1) الآية 22 من سورة الأحقاف.

(2) الآيتان 24 و25 من سورة الأحقاف.

(3) الآيات 9 ـ 12 من سورة نوح.

وسوف يحزنهم الإخلال بهذه القوة المنبسطة على جميع الشؤون والأحوال، وفي كل المجالات، مثل: القوة المالية، والثروات المختلفة، والقوة في الكثرة العددية مع الحفاظ على التجانس في الهوية، والنسَب، المقتضي للتوافق في المشاعر، وفي العصبيات، وفي التناصر والتعاضد.. والقوة الجسدية، والتمكين، والثبات، والإستقرار، وما إلى ذلك.

كما أنه تعالى وعدهم، ليس فقط بأن يحفظ لهم قوتهم التي يفاخرون بها، ويبقيها على حالها، بل زادهم على ذلك: أنه سوف يزيدهم قوة تضاف إلى قوتهم..

ويلاحظ: أنه تعالى قال: ﴿**وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ**﴾ ولم يقل: يزيد قوتكم، ربما ليدل: على أن ثمة قوة جديدة في مكوناتها وفي عناصرها، أي زيادة نوعية محسوسة وملموسة لهم ولغيرهم، تكون إلى جانب قوتهم التي كانت لديهم، لا أنه يزيد في قوتهم، وربما كانت هي قوة العلم والمعرفة، وقوة التوفيقات، وقوة الشجاعة، وقوة الصبر والتحمل، وغير ذلك.. لأنه تعالى لو اكتفى بمجرد زيادة قوتهم لفهم بعض الناس، أو لأمكن لبعض الناس أن يدَّعي: أن زيادة القوة كانت نتيجة تفاعل داخلي في القوة الحاضرة، وبذلك يضيع معنى وعد الله تعالى لهم.

من سلوكيات قوم عاد:

ذكرنا فيما سبق: أن قوم عاد كما ورد في القرآن الكريم، قد ورَّطوا أنفسهم في كثير من الأعمال الشائنة والقبيحة، مثل:

1 ـ تكذيبهم الرسل.

2 ـ عصيانهم الأنبياء.

3 ـ اتهام أنبيائهم بما هم منه براء.

4 ـ تكذيب الآيات.

5 ـ الإستهزاء بها.

6 ـ جحود الحق.

7 ـ يبنون بكل مرتفع آية.. للعبث والمباهاة.

8 ـ يتخذون مصانع لعلهم يخلدون.

9 ـ كفروا بربهم. كفر بربه: تبرأ منه، وكفر ربه المنعم عليه جحده.

10 ـ جحدوا ربهم. والجحود: هو الإنكار عن علم..

11 ـ ويفهم من قول نبيهم لهم: أنه لا يسألهم أجراً، لأن أجره على الله الذي فطره: أن من جملة أسباب صدودهم عن قبول الحق من الأنبياء هو خوفهم من مطالبتهم بالأجر.

من سلوكياتهم المخزية:

ونضيف إلى ما تقدم: أن من سلوكيات قوم عاد المخزية ما يلي:

1 ـ إنهم مفترون.. قال تعالى: ﴿**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ**﴾[1]، لأنهم يدَّعون لمعبوداتهم القداسة، والقدرة، وأنها تخلق، وترزق، وتعطي وتمنع، وتشفي وتمرض، وتحيي وتميت، وهذا كذب وافتراء.

2 ـ إنهم مجرمون.. قال تعالى: ﴿**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ**

---

(1) الآية 50 من سورة هود.

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾[1].

لأن عبادتهم لغير الله جناية وذنب، تجاه الذات الإلهية.

ويقال: أجرم لمن ارتكب ذنباً عظيماً.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾[2]. يدل على أن الجرم الذي ارتكبوه كان عظيماً جداً.. فعظمة وهول العقوبة يدل على عظمة وهول الجرم.

3 ـ إنهم اتَّبعوا أمر كل جبار عنيد.. قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[3].

فقوم عاد آثروا معونة الجبار العنيد الذي يقهر الناس، ويكرههم على ما يريد، ولا ينصاع للحق، وجعلوا أنفسهم في خدمة أهدافه الشريرة، وأعواناً له على قهر الناس وظلمهم، وأنفوا أن يأخذوا بما جاءهم به هود «عليه السلام»، وسائر رسل الله، الذين كانوا في غاية الرقة، وفي منتهى اللطف مع جميع الناس..

كما أنهم آثروا نصرة الجبابرة والظالمين على قبول الهدايات الإلهية من رب ودود رحيم.. فهل ثمة خذلان وخزي أعظم من هذا؟!

ومن المعلوم: أن الجبابرة لا يتورعون عن قتل الناس، وهدم ديارهم، والاستيلاء على أموالهم، لأن الميزان عندهم هو ما يحلو لهم، وليس مصلحة

---

(1) الآية 52 من سورة هود.

(2) الآية 25 من سورة الأحقاف.

(3) الآية 59 من سورة هود.

الناس، ولا ما يفرضه العقل السليم، والفكر القويم، والرأي الصحيح والحكيم.

والعنيد هو من لا ينصاع للحق، ولا يعترف به، بل الحق عنده هو ما تدعوه إليه أهواؤه، وميوله وشهواته.. فكيف يؤثر قوم عاد طاعة إنسان كهذا، على طاعة نبي يرأف بهم، ويتحسر عليهم؟!

ولا يتوهمن أحد: أنه حين يوصف الله تعالى بالجبار، تكون جباريته مشابهة لما ذكرناه عن جبابرة البشر..

بل يراد به: القوي، والقادر على إخضاع الغير لقدرته، دون أن يظلم أحداً، أو أن يوظِّف قدرته في جلب المنافع لنفسه، لأنه تعالى الغني الحكيم، والعليم الرحيم.

وقد قُرِن وصف الجبار حين أطلق على الله في الآيات الشريفة بأوصاف الرضى، والسلام، والأمان.. قال تبارك وتعالى: ﴿**الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ**﴾(1).

فمن كانت أمثال هذه الصفات، وغيرها من أسمائه، فلا يكون ظالماً ولا معتدياً على أحد، تبارك ربنا وتعالى.. ولكن الجبار العنيد الذي لا ينقاد للحق، هو الذي يكون معتدياً وظالماً.

4 ـ ووصف تعالى قوم عادٍ بقوله: ﴿**وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ**﴾(2).

والبطش هو الأخذ بقوة وغلبة، وعنف في كل شيء. والجبار كل عات متمرد.

والشدة في البطش نسبية، فهناك بطش شديد، وبطش أشد، وهناك

---

(1) الآية 23 من سورة الحشر.

(2) الآية 130 من سورة الشعراء.

بطش كبير، وبطشة كبرى.

5 ـ وتقدم: أن قوم عادٍ عاشوا أحلام الشعور بالتفوق والعظمة، في معنى القوة، فقد حكى الله تعالى عنهم قولهم: ﴿**مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً**﴾(1).

وتقدم: أن الله تعالى قد ردَّ عليهم في ذلك، فلا حاجة إلى الإعادة

6 ـ زين لهم الشيطان أعمالهم، فصاروا يرون القبيح حسناً، وهذا غاية التردي والخذلان.. وقد قال تعالى في آية أخرى: ﴿**أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾(2).

صفات ثلاث لعلها الأهم:

بقي أن نشير إلى ثلاث صفات أشار إليها القرآن، لعلها الأهم، من حيث مساهمتها في نشوء عدد من الصفات، والسمات السيئة الأخرى التي تميز بها قوم عادٍ وتقدم ذكرها، وهذه الصفات هي التالية:

1 ـ إن قوم عاد لا يعقلون.. فقد قال تبارك وتعالى على لسان هود «عليه السلام»: ﴿**يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾(3).

وإن من سقم التفكير حقاً: أن يرفض الإنسان الهدايات إلى طريق الرشد،

---

(1) الآية 15 من سورة فصلت.

(2) الآية 8 من سورة فاطر.

(3) الآية 51 من سورة هود.

والتي يعيش سالكها الطمأنينة، والسكينة، والأمان، ظنّاً منه: أن من يبذلها له يطلب منه أجراً، مع أن الإنسان العاقل يبذل كل غالٍ ونفيس من مال وغيره ليحصل على الأمن، ولا يعرِّض نفسه للخطر، سواء أكان الخطر متيقناً أو محتملاً، فالأمان والسكينة والراحة أثمن من المال.

وقد روي عن أمير المؤمنين علي «عليه السلام» قوله: نعمتان مجهولتان: الصحة والأمان[1].

وقد روي عن النبي «صلى الله عليه وآله» قوله: نعمتان مكفورتان: الأمن والعافية[2].

فكيف إذا لم يكن هناك شيء يدل على أن هؤلاء الهداة يريدون أجراً على هداياتهم؟!

والأشد وضوحاً، في بعده عن العقل والحكمة: أن لا يرضى بتصريحاتهم: بأنهم لا يسألون أحداً أجراً على ذلك.. ثم هو بناءً على ذلك يعرِّض أمنه للخطر، استناداً إلى أمر موهوم، تنفيه الدلائل والشواهد.

وحتى بمنطق التعامل العادي، فإن هذا النبي أو الهادي، إنما يقدِّم ما لديه أولاً من دون أي شرط، بل مع التصريح بعدم طلب الأجر.. ثم هو يحدِّد المسؤول عن أجره، مصرحاً: بأنه الذي خلقه وأرسله..

---

(1) شجرة طوبى ج2 ص368 ومسند الرضا لداود بن سليمان الغازي ص120.
(2) راجع: الخصال للصدوق ص34 وروضة الواعظين ص472 وبحار الأنوار ج78 ص170. وراجع: الجامع الصغير ج1 ص477 وفيض القدير ج3 ص238 ومجمع الزوائد ج10 ص289 والمعجم الأوسط ج1 ص198 والمعجم الكبير ج11 ص344 والكامل لابن عدي ج3 ص71.

بل إن هذا الأجر هو مقتضى خالقيته تعالى له، التي تحتم عليه حفظه وإسعاده، ما دام يسعى في طاعته، وتنفيذ أوامره، فإن كان يحتاج إلى الأجر، فإنما عليه أن يطلبه منه تعالى.

يضاف إلى ذلك كله: أن كل ما لدى المخلوقات من نِعَم، وقدرات، وإمكانات، ليس إلا عطايا إلهية، ومنحاً ربانية، وليس لأحد فيه فضل.

وقد أفهمهم هود «عليه السلام»: أنه حتى حين ينفذ أوامر الله سبحانه، فإن أجره محفوظ له، كما قال تعالى: ﴿**أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى**﴾[1].

وقال عز وجل: ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ**﴾[2]، وغير ذلك.

وهذا يعني: أن كل عمل له قيمة، فله أجر، لأن العمل بدون أجر يكون عبثياً، وليس عقلائياً.

وإذا تأكد هذا المعنى لدى قوم عادٍ، فإنهم سوف يدركون: أن هوداً ناصح أمين لهم، ولو لم يكن كذلك لم يستحق أجراً عند الله تعالى.. ولكن حين اختلَّ الميزان العقلي لدى عاد، ابتلوا بالتخبط والضياع، وأصبحت قرارتهم عقيمة وسقيمة..

2 ـ إن قوم عاد يجهلون.. فإنهم حين جاءهم هود «عليه السلام»، وأنذرهم، إن لم يعبدوا الله بعذاب عظيم.. ﴿**قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ**

---

(1) الآية 195 من سورة آل عمران.

(2) الآية 7 من سورة الزلزلة.

﴿بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾[1].

ونلاحظ: أن قوم عاد قد تعاملوا مع نبيهم بصورة سلبية وسيئة.

ويتضح ذلك بما يلي:

ألف: إن أخا عاد هو هود «عليه السلام» بحسب الظاهر، وقد وصفه الله تعالى: بأنه أخ لهم، ربما كان بهدف إظهار: أنه إنما يخبرهم من موقع الشفقة والرحمة، فهم منه، وهو منهم، وهو يشفق عليهم كما يشفق الأخ على أخيه، فضلاً عن أنه نبي شفوق ورحيم، وهذا هو حال جميع الأنبياء والرسل، فكل منهم إنسان كامل وعاقل، لا يحب لغيره إلا الصلاح والخير، والسلامة، والنجاة من الأسواء والمهالك.

ب: إن هذا الأخ العطوف والرؤوف قد جاء إلى قومه ملهوفاً خائفاً عليهم.. لينذرهم عذاب يوم عظيم يحل بهم.

ومن المعلوم: أن احتمال الخطر والضرر يحتِّم على الإنسان العاقل التحرز، والاحتياط.

ج: يؤكد لزوم التحرز على قوم عاد: أنهم هم الذين أصبحوا خلفاء من بعد قوم نوح، الذين حلَّ بهم عذاب الاستئصال بواسطة الطوفان، فإن الذي حلَّ بهم قد حصل في أرض لا يتوقع وجود القليل من الماء فيها، فضلاً عن أن يضربها طوفان له موج كالجبال.. كما قال تعالى عن سفينة نوح: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾[2].

كما أن الجبل الذي اعتصم به ابن نوح لم يستطع أن يعصمه من أمر

---

(1) الآية 21 و22 من سورة الأحقاف.

(2) الآية 42 من سورة هود.

الله.. وهم يرون آثار قوم نوح، ويخلفونهم فيما بقي من ديارهم. وهذا كله يفترض أن يزيد من احتمال جدية ما يأتيهم من إنذارات على لسان رسل الله سبحانه وتعالى.

د: ويزيد الأمر وضوحاً لقوم عاد: كثرة النذُر الذين أرسلهم الله إليهم، وكل ذلك لا بد أن يراكم الإحتمالات، ويؤكد الظنون، إلى أن تلامس اليقين بصحة، بل بحتمية وقوع ما ينذرونهم به، لاسيما وأن المنذرين كانوا من الكثرة بحيث إنهم كانوا يتسابقون إليهم بغزارة، فيسبقون هوداً «عليه السلام» تارة، ويلحقونه أخرى.

هـ: وبعد ذلك كله، فإن المطلوب منهم للحصول على النجاة كان أمراً يسيراً، مفعماً بالفوائد والعوائد لهم، فهو يحررهم من العبودية للطواغيت، ويمنع من تضييع جهودهم في تلبية الرغبات والأهواء الشيطانية، ويمنحهم العزة، والكرامة والشموخ. والصواب في القول، والفعل، والموقف. ويحررهم من الخضوع لأهوائهم، وشهواتهم، ويكونون أسياد أنفسهم، ويكون الله تعالى هو الحامي لهم، والمدافع عنهم، وينزل عليهم الخيرات والبركات، ويزيدهم قوة إلى قوتهم.

و: إنهم مع ذلك كله، قد أخلدوا إلى الأرض، ورضوا بالحياة الخسيسة، والمتناقضة مع العقل، والمصادمة للفطرة، والبعيدة عن الفهم، والمفعمة بالجهل والغباء، حيث كان موقفهم من أخيهم الحريص عليهم، والذي يريد دفع العذاب عنهم هو اتهامهم إياه:

أولاً: بأنه يريد بواسطة الكذب والإفك: أن يُميلهم ويحرفهم عن آلهتهم العاجزة والجاهلة، والفاقدة لأية قيمة أو جدوى..

ثانياً: وطلبوا منه: أن يأتيهم بالعذاب الذي ينذرهم بحلوله بهم..

ز: رأينا: أن كلامهم مع هود يدل على أنهم يتهمونه بأنه هو الذي سوف ينزل العذاب بهم. فرد عليهم بأن الأمر لا يتعلق به، وإنما هو بيد الله، وعلمه عنده سبحانه، وإنما هو مجرد رسول، وهو لا يعلم عن هذا العذاب شيئاً، فهو لا يعلم ما هو، ولا كيف هو، ولا متى هو.

ح: وكل ما تقدم يشير إلى شدة جهل هؤلاء القوم، فهم لا يميزون بين الخير والشر، ولا النافع من الضار لهم، ولا يلتفتون إلى ما تدعوهم إليه عقولهم من لزوم الحذر، حتى ولو بقي الأمر في حدود الاحتمال لوقوع مثل هذا الأمر العظيم، كما أنهم لم يستفيدوا مما جرى لقوم نوح، بالرغم من مشاهدتهم آثار ما جرى عليهم.

بل تجاوزوا ذلك كله إلى طلب نزول ذلك العذاب الذي يحذرونهم منه عليهم، وكأنهم يريدون استفزاز المنذرين بالتأكيد على أنهم يكذبون، ويفترون بهذه الطريقة الوقحة.

وقد كان قوم نوح قد سبقوهم إلى مثل هذا الموقف، فقالوا لنبيهم «عليه السلام»: **﴿يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾**(1).

3 ـ إستكبار قوم عاد.. قال تعالى: **﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾**(2).

---

(1) الآية 32 من سورة هود.

(2) الآية 15 من سورة فصلت.

وقد تقدم معنا الحديث عن الإستكبار بالحق، وعن الإستكبار بغير الحق، فلا نعيد، فراجع ما تقدم تحت عنوان: القوة الفائقة.

غير أننا نقول:

ألف: إن استكبار قوم عاد لم يكن يطاق، فقد أظهروا هذا الاستكبار بصورة بشعة وممجوجة، وغير أخلاقية، حين أعلنوا أنه لا يوجد من هو أشد منهم قوة.

ويبدو: أن إعلانهم هذا قد شمل جميع الأقوام التي كان لها في الأرض كيان قائم، مهاب الجانب، ويُحسب له حساب.

وهذه المباهاة التي أقدم عليها قوم عاد لم تستثن أحداً، كما أن الجواب الإلهي لهم، لم يذكر اسماً لأي قوم يمكن أن ينافسوا قوم عاد في القوة والشدة، بل أفهمهم بالدليل القاطع: أنه تعالى هو أشد منهم قوة..

ب: إنه تعالى ذكر: أن قوم عاد استكبروا في الأرض، فقد يفهم من هذا: أن المراد: هي الأرض التي فيها أقوام أقوياء يحسب لهم حساب، إذ لو كان المراد هو استكبارهم في بلادهم، أو على من هم بالقرب منهم، لم يكن هناك حاجة لذكر الأرض، كما أن هذا المعنى لا يناسب تبجحهم العريض بقولهم: ﴿**مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً**﴾، وكأنهم يخاطبون كل من يعيش على الأرض، في أي مكان كان..

ج: إنه تعالى قال على لسان عاد: ﴿**مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً**﴾، ولم يقل: من أقوى منا، أو من أشد منا..

فلعل سبب ذلك: أن القوة هي الوسع، والطاقة، والقدرة، وتكون قوية وأقوى بالقياس إلى نظائرها، ويمكن تشديدها بإضافة قوة إليها من خارجها،

وإن خالفهتا في سنخها، وحقيقتها.. فكأن قوم عاد يريدون بهذا التعبير أن يزعموا: أن قدراتهم وقواهم مكتملة في نفسها، وبالغة أعلى الدرجات.. ولكن لديهم من موجبات زيادة هذه القوة، ما ليس لدى أحد، وذلك على قاعدة: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾[2]. فإن الوثاق شديد في نفسه، ويمكن للشد أن يقوِّيه. كما أن العذاب يشدد على المذنب، بما يضاف إليه مما يزيده توقُّداً أو تأجُّجاً، أو حرقة.. وربما كان من قبيل المشاعر والحسرات، وشدة الندم، وما إلى ذلك.

---

(1) الآية 20 من سورة ص.

(2) الآية 4 من سورة محمد.

الفصل الثالث

عذاب عاد..

الإخبار عن هلاك قوم عاد:

لقد أخبر الله سبحانه عن هلاك قوم عاد في أكثر من مورد، وأكثر من آية، ومنها:

1 ـ قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى**﴾[1].

2 ـ وقوله عز وجل: ﴿**قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[2].

3 ـ وقال تعالى عن هود «عليه السلام»: ﴿**فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ**﴾[3].

4 ـ وقال سبحانه: ﴿**وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ**﴾[4].

5 ـ وقال تبارك وتعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ**﴾[5]. وآيات كثيرة أخرى.

---

(1) الآية 50 و51 من سورة النجم.

(2) الآيات 136 ـ 139 من سورة الشعراء.

(3) الآية 72 من سورة الأعراف.

(4) الآية 58 من سورة هود.

(5) الآيات 6 ـ 8 من سورة الفجر.

إنذار قوم عاد:

وقد أنذر الله تعالى قوم عاد: بأن إصرارهم على الاستكبار في الأرض بغير الحق، وعلى الجحود، وعلى ممارسة بطش الجبابرة، وغير ذلك مما ذكرناه في الفصلين السابقين يوجب نزول العذاب عليهم، بل قد تواتر مجيئ المنذرين إليهم به.

وقد أبلغهم هود أيضاً بعجزهم أمام قدرة الله، وأنهم إن لم يقلعوا عن ما هم عليه، فإن الله سيستخلف قوماً غيرهم ولن يضره قوم عاد شيئاً، بالرغم من قوتهم، قال تعالى: ﴿**مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ**﴾(1).

وقال لهم هود «عليه السلام»: ﴿**إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾(2).

وراجع قوله عز وجل: ﴿**قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾(3).

بماذا أهلك الله قوم عاد؟!:

وعن الوسيلة والكيفية التي أهلك الله تعالى بها قوم عاد، تتحدث الآيات القرآنية عن ما يلي:

---

(1) الآيتان 56 و 57 من سورة هود.

(2) الآية 135 من سورة الشعراء.

(3) الآية 22 من سورة الأحقاف.

ألف: العذاب بالريح:

1 - ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾(1).

والمراد بالحسوم: إزالة أثر الشيء.

والحسوم: الشؤم والدؤب في العمل.. فيكون المعنى: سبع ليال وثمانية أيام متتابعات، وهي أيضاً مشؤومة.

2 ـ وحين اعتزّ قوم عاد بقوتهم، قال تعالى: **﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾**(2).

3 ـ وقال عز وجل: **﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾**(3).

4 ـ وقال تعالى: **﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾**(4).

وحين طلب قوم عاد من هود «عليه السلام» أن ينزل عليهم العذاب

---

(1) الآيات 6 ـ 8 من سورة الحاقة.

(2) الآية 16 من سورة فصلت.

(3) الآية 42 و43 من سورة الذاريات.

(4) الآيات 18 ـ 21 من سورة القمر.

قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾(1).

ب: العذاب بالصاعقة: فقد قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾(2).

وقفات مع آيات العذاب:

ونحب أن نتوقف قليلاً مع هذه الآيات الشريفة، لنذكِّر القارئ الكريم: بأنها لا تتضمن أي شيء يمكن أن يعدَّ مؤاخذة أو إشكالاً، بل هي أصفى وأنقى من الماء العذب الزلال.. وإنما يتوهم قاصروا النظر، أو مرضى القلب، ما يظنونه غير ظاهر الوجه، ولا واضح المأخذ.

وإنما هو كذلك بالنسبة إليهم.. وأما بالنسبة لذوي البصيرة، وأهل السداد، فإن ما يزعم أولئك أنه مؤاخذة، لا يعدو كونه عند ذوي الألباب شبهة في مقابل بديهة، وأوهاماً، وخيالات لا حقيقة لها، ونحن نقدِّم نماذج مما يمكن أن يتشبث به أولئك القاصرون، أو أهل الريب المخذولون، ليعلم أنه لا يعدو كونه ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾(3).

---

(1) الآية 24 و25 من سورة الأحقاف.

(2) الآية 13 من سورة فصلت.

(3) الآية 39 من سورة النور.

هلاك عاد بالريح أم بالصاعقة؟!:

تقدم: أن أكثر الآيات تقول: إن هلاك قوم عاد كان بالريح الصرصر العاتية، والعقيم، لكن آية 13 من سورة فصِّلت قد ذكرت: أن هلاكهم كان بالصاعقة، فكيف نفسر ذلك؟!

ونجيب:

بأنهم قالوا في معنى الصاعقة: إنها الموت، وكل عذاب مهلك، وصيحة العذاب[1]. وهذه المعاني لا تتناقض مع العذاب بالريح، ولاسيما إذا صاحبها صوت هائل، بسبب شدة هبوبها.

وفسرت الصاعقة أيضاً بنار تسقط من السماء في رعد شديد، لا تمر في شيء إلا أحرقته.

وفسرها الراغب في مفرداته بالهدَّة الكبيرة، وقال: إن الصعق يكون في الأجسام العلوية، والموت، والنار، والعذاب من آثار الصاعقة.

ويدل على أن الصاعقة هي الريح التي أصابت عاد: أن هذه الريح كان يصاحبها صوت هائل، بدليل قوله تعالى: ﴿**فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ**﴾ وفسّر الصرصر بالريح الشديدة الصوت، وتلازم شدة الهبوب.

وقال الراغب: «وقيل: الصرة الصيحة»[2]. وصرَّ الشيء صريراً صوَّت، وصرصر الرجل صاح شديداً[3].

---

(1) أقرب الموارد ج1 مادة: صعق.

(2) مفردات الراغب، مادة: صرّ.

(3) أقرب الموارد، مادة: صرّ وصرصر.

وبذلك يتضح: أن الآيات المباركة في غاية التلاقي والانسجام.

هلاك عاد في يوم أو في أيام:

وفي الآيات المتقدمة: أن هلاك عاد كان في يوم عظيم كما في سورة الشعراء، الآية 135، والأحقاف، الآية 21.

وفيها أيضاً: أن الله تبارك وتعالى أرسل عليهم ﴿**رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ**﴾[1].

وفيها: أنها استمرت ﴿**سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ**﴾[2].

وثمة آية تقول: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ**﴾[3].

ونود الإشارة إلى الأمور التالية:

1 ـ إن مقدار استمرار العذاب ثمانية أيام وسبع ليال، وليس العكس، ربما كان سببه: أن لا يكون موتهم ونهاية حياتهم في الليل.. إذ لا تشاهد في الظلام حالاتهم المريرة، وسيستر الليل أنواع العذاب التي تحلّ بهم، مع أن المطلوب هو: ظهورها للعيان «لقوم عاد أنفسهم»، ليتشارك في العذاب إحساسهم بالمعاناة الجسدية، مع الرؤية البصرية.

ولتكون بذلك العبرة للناس الذين يرونهم أتمّ وأوضح، وأبين وأصرح،

---

(1) الآية 16 من سورة فصلت.

(2) الآيات 4 ـ 8 من سورة الحاقة.

(3) الآية 19 من سورة القمر.

ولذلك كانت نهايتهم في وضح النهار، وتشاركت فيها الأسماع والأبصار.

2ـ إن الآية التي ذكرت عذابهم في يوم واحد، ووصفته: بأنه يوم نحس مستمر..

نقول فيها:

أولاً: لم تتحدث هذه الآية عن طول مدة العذاب أو قصرها، بل ذكرت أن إرسال الريح عليهم كان في يوم نحس مستمر، وظاهره الحديث عن بدء الإرسال لا عن مدة بقائه.. فهي لا تنافي الآيات التي تحدثت عن استمرار الريح أياماً.

ثانياً: قد يقال: إن استمرار العذاب ثمانية أيام يفترض فيه أن يبقي قوم عاد أحياء إلى آخر لحظة، ويكون بقاؤهم هذا عذاباً لهم، بحيث لا يتحقق الموت لهم بتلك الريح، بل هي تدمر كل ما ادخروه وجمعوه، واعتبروا أنفسهم بسببه أقوى أهل الأرض، فيذوقون بدماره طعم الحسرة والفشل، والخزي والخيبة في أقسى حالاتها..

ولكن هذه الريح العقيم، لا تتعرض لقوم عادٍ بما هم بشر.

ويشهد لذلك: أنه تبارك وتعالى إنما تحدث عن عذاب الخزي في الأيام النحسات، حين ذكر قولهم: ﴿**مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً**﴾[1].. فجعل تعالى مصدر عزتهم، واستكبارهم، وشعورهم بالعظمة هو الوسيلة لخزيهم، وذلّهم، ولذلك قال عز وجل: ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ**

---

(1) الآية 15 من سورة فصلت.

﴿الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾[1].

كما أن الريح العقيم التي أرسلها عليهم هي التي دمرت كل شيء كان لهم، كما قال تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾[2].

وهذه الريح بالنسبة للناس، كانت في تلك الأيام تكفي لزعزعة وجودهم، وحرمانهم من الثبات والتماسك، ويصبحون كأعجاز (أي أصول نخل) قد اقتلعت من أصولها وجذروها، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿مُنْقَعِرٍ﴾، أي أنه اقتلع من قعره وأصله. كما أن هذه الأعجاز خالية من أي قوة يمكن الاعتماد عليها.

وتشبيههم بأعجاز النخل يشير إلى بسط خلقتهم، وضخامة أجسامهم.

يضاف إلى ما تقدم: أن الله وصف هذه الريح التي يفترض فيها الليونة والملاءمة: بأنها فيها عذاب أليم، مع أن المعهود عند الناس: أن ما يكون فيه العذاب الأليم هو النار، أو الضرب والإصطدام بالأشياء الصلبة.

كما ويلاحظ أيضاً: أن ثمة تناسباً بين حالات وجرائم قوم عادٍ، وبين العذاب الذي رصد لهم، حيث لم يعاقبوا بخسف الأرض بهم، ولم يعاقبوا بمطر السوء.. وإنما عوقبوا بالريح التي لا ينزعج الناس منها في كثير من الأحيان، بل قد تؤنسهم وتلذهم، ولكن الريح هنا تدمر، وتجعل كل شيء

---

(1) الآية 16 من سورة فصلت.

(2) الآية 42 و43 من سورة الذاريات.

أتت عليه كالرميم.

عذابهم لعدم إيمانهم، أو لعدم إيمان أكثرهم؟!:

ويقول تعالى عن قوم عاد: ﴿**فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾(1).

ويقول عز وجل عن قوم عاد أيضاً: ﴿**وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ**﴾(2).

فكيف نفسر هذا الاختلاف بين الآيتين.. فالآية الثانية ذكرت عدم إيمان الكل، والآية الأولى ذكرت عدم إيمان الأكثر، وأن ذلك هو السبب في نزول العذاب بهم؟!

ونجيب:

أولاً: إنه قد يطلق اسم الكل على الجل، إذا كان الخارجون من الكل هم من القلّة بحيث لا ينظر إليهم، ولا يعبأ بهم، وهذا الإطلاق شائع ولا ضير فيه.

ثانياً: إنه تعالى في آية الأعراف تحدث عن أن جميع الذين كذبوا بآيات الله من قوم عاد كانوا مصرين على موقفهم، ولا يؤمل بإيمان أحد منهم، وهذا صحيح ولا ريب فيه..

أما آية سورة الشعراء، فقد ذكرت: أن الله عز وجل قد أهلك الذين أصروا على موقفهم وكذبوا الرسل الذين أنذروهم بعذاب الله تعالى، فقال:

---

(1) الآية 139 من سورة الشعراء.

(2) الآية 72 من سورة الأعراف.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾[1].

ثم أضاف قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ متحدثاً عن عموم قوم عاد، الشامل لمن آمن فأنجاهم الله من العذاب مع هود «عليه السلام» بسبب إيمانهم، وهم الأقلون، بالإضافة إلى الأكثر الذين كذبوا فاستحقوا العذاب.

ويشهد لذلك: كلمة «هم» في قوله تعالى: ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾.

سعادة ونحوسة الأيام:

وقد قال سبحانه عن قوم عاد: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾[3].

فالسؤال هو: هل يعقل أن اليوم الذي هو مجرد زمان يكون شؤماً ونحساً على الناس؟!

ونجيب بما يلي:

إن العقل لا يمنع، من أن يكون للأيام والأزمان سعادة ونحوسة، كما أنه لا يحتِّم ذلك، بل يبقي هذا وذاك في دائرة الإمكان.

---

(1) الآية 139 من سورة الشعراء.

(2) الآية 16 من سورة فصلت.

(3) الآية 20 من سورة القمر.

وفي القرآن الكريم تحدّث تعالى عن الأيام النحسات، كما رأينا هنا، وتحدَّث عن الليله المباركة، فقال عز وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾[1].

ووصف في القرآن الكريم أيضاً أموراً كثيرة: بأنها مباركة.. كالأرض، والأشخاص، والماء، والكتاب، والذِّكر، والبيت، والشجرة، والتحية..

والبركة تعني: النماء، واليمن، والخير الإلهي، ولو بصورة غير محسوسة، وهناك أمور وأعمال توجب زيادة البركة، وهناك ما يمحقها ويزيلها.

وفي الأحاديث الشيء الكثير مما يتعلق بنحوسة الأيام وسعادتها، وأكثره لا يعتمد عليه من حيث السند..

كما أن هناك أحاديث عن تأثير البروج في النحوسة، حيث نهي عن إيقاع عقد الزواج، وعن السفر والقمر في برج العقرب، وروي في السفر أنه يكون مباركاً في بعض الأيام، فقد روي عن النبي «صلى الله عليه وآله» قوله: «بورك لأمتي (اللهم بارك لأمتي) في سبتها وخميسها»[2]..

---

(1) الآية 3 من سورة الدخان.

(2) الشرح الكبير لابن قدامة ج11 ص395 وكشاف القناع ج6 ص393 وفيض القدير ج5 ص264 والأمان لابن طاووس ص30 وجمال الأسبوع ص115 وإقبال الأعمال ج2 ص22 والمصباح للكفعمي ص517 وبحار الأنوار ج56 ص36 و 35 و 48 وج100 ص41 ومستدرك سفينة البحار ج4 ص428 و 132 وهداية الأمة للحر العاملي ج5 ص85 ونيل الأوطار ج8 ص65 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج11 ص359 و 350 وج7 ص406 و (الإسلامية) ج8 ص261 و 253 و 260 وج5 ص85 وعمدة القاري ج14 ص216 وراجع: عيون أخبار الرضا ج2 ص38 ومن لا يحضره الفقيه ج1 ص425 ومستدرك الوسائل ج8 ص116 وج13 ص59 وشرح السير الكبير للسرخسي ج1 ص65.

كما أننا نجد النهي عن الأخذ بمقولات بني أمية وأعداء أهل البيت فيما يرتبط بنحوسة يوم عاشوراء، والأمر بالعمل بضد أقوالهم، وأفعالهم فيه.

والحديث حول هذا الموضوع يطول، وليس هنا موضعه.

السؤال الأخير يجيب عنه القارئ الكريم:

والسؤال الذي نريد أن نزعج به القارئ الكريم هو:

هل يمكن أن يتحفنا برأيه بعد هذه الجولة في ربوع الآيات القرآنية التي تحدثت عن عاد الأولى.. إن كان يستطيع أن يجد في القوى التي تهيمن على العالم في أيامنا هذه، مثل أمريكا، أو الصين، أو روسيا، أو غير ذلك من أمم الأرض ـ أن يجد ـ أمة تفرض إرادتها على سائر الأمم، وتتبجح بقوتها البالغة إلى حد أنها ترى أن لا أحد أشد منها قوة..

كما أنها تعتَّد بإبداعاتها، وصناعاتها، وأساطيلها، وقواعدها العسكرية.. وما تبنيه في كل ربع من آيات في الجمال والروعة، بهدف التباهي، والتبجح.

بالإضافة إلى ما تنشئه من حصون، وما تعدّه لضمان بقائها، وإطالة زمان هيمنتها، واستمرار عنفوانها وقوتها؟!

على أن يكون في تلك الأمة بسطة في الخلق، وضخامة في الأجساد، واهتمام بالعمران.. وتكون هذه البسطة من العلامات المتميزة لتلك الأمة، حيث لا نجد مثلها في الصين، ولا في جنوب شرق آسيا، ولا في الهند وباكستان، وسواها، وقلنا: إن هذه البسطة مميزة لها، إذ لا يمكن ادِّعاء: أن الله يبسط لهم في خلقتهم لاقتضاء الحاجة لهم إلى ذلك، أو ليس لديهم آلات ووسائل متطورة تغنيهم عن هذه البسطة الجسدية والقوة، فلعله منحهم هذه

البسطة ليظهر شبههم بقوم عاد، حتى في ضخامة الأجساد.. وكما أنشأ قوم عاد إرم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد، فإن هذه القوة تعمل ليل نهار، لكي تبني ما هو أعظم، وأهم من إرم التي بنتها عاد الأولى؟!

وهل يجد في أيامنا هذه أمة تبطش بطش الجبارين.. ولديها من النعم والأموال، والجنات والعيون، والأنعام والبنين، ومن الرفاه والهيبة والعظمة ما يجعلها شبيهة بقوم عاد؟!

وهل يجد في أخلاقها وسلوكياتها، وممارساتها ما يشبه أيضاً ما ذكرناه عن قوم عاد، ولاسيما فيما يرتبط بالإستكبار في الأرض بغير الحق، وبجحد حقوق الشعوب، واعتبار الحق باطلاً، والباطل حقاً، وملاحقة أهل الحق بالتهم والأباطيل، والأذى، والظلم والعدوان، وسائر الرذائل الأخلاقية؟!

وبكلمة واحدة: هل هناك أمة ينطبق عليها سمات وصفات، وممارسات، وعادات، وسائر شرور قوم عاد، لكي نعتبرها عاداً الثانية، التي أشار إليها القرآن الكريم؟!

ثم نقول: إنها سوف تهلك بالريح الصرصر العاتية، وهي الريح العقيم التي تدمر كل شيء أتت عليه بأمر ربها.

ونقول: إنها سوف تفتك فيهم سبع ليال وثمانية أيام، وفقاً لما أخبر به النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، من أن كل ما كان في الأمم السالفة سوف يحصل في هذه الأمة، حذو القذة بالقذة، ومطابق النعل بالنعل؟!

وقد تكون الإجابة على هذا السؤال على درجة من السهولة، فإن بين أمم زماننا أمماً طاغية ومستكبرة، وجاحدة، تبطش بطش الجبابرة، والكل يعلم: أنها أشد طغياناً وكفراً، وأعظم بغياً، وأسوأ سيرة وذكراً، وأصبح الطغيان

والجبارية خُلقاً لها..

وتشهد ممارساتها وظهور بغيها على أنها عاد الثانية، وارثة عاد الأولى.. لاسيما وأن بعض القوى الأخرى لا تملك زيادة في البسطة في الخلق، وبعضها الآخر ليس لديه في سماته وميزاته، وصفاته، وسائر حالاته، وإمكاناته ما ينافس به.. فالأقوى والأجمع للصفات والسيماء منحصر بفرد، ولا يلحق به أي من الإثنين اللذين يليانه في القوة والجبارية..

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين..

عيثا الجبل (عيثا الزط سابقاً) ـ قضاء بنت جبيل ـ جبل عامل ـ لبنان.

الأحد 15 / ذو القعدة / 1439 هـ. ق.

29 / تموز / 2018 م. ش.

جعفر مرتضى الحسيني العاملي.

الفهرس

تقديم وتمهيد: 7

الفصل الأول: العطاء الرباني، والإمداد الإلهي 12

عاد في سماتها وإمكاناتها: 14

1 ـ القوة الفائقة: 14

2 ـ البسطة في الخلق: 17

عودة إلى الحديث عن قوم عاد: 19

جعل السمع والأبصار والأفئدة لهم: 22

فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ: 22

لماذا كان النفي بلم مثلاً؟!: 25

وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً: 27

جَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً: 27

التنكير لماذا؟! 28

الأبصار والأفئدة بصيغة الجمع: 31

هذا هو التسلسل الطبيعي: 31

الأفئدة نموذجاً: 32

تجليات قوة قوم عاد: 34
خصوصية في الأمور الثلاثة: 35
سقم وتفاهة أهداف قوم عاد: 36
الفصل الثاني: أخلاق.. وسلوك.. 39
الوصل بعد الفصل: 41
موقفهم من الهداية الإلهية: 42
المستبصرون: 45
وعد الله تعالى لقوم عاد: 46
من سلوكيات قوم عاد: 50
من سلوكياتهم المخزية: 50
صفات ثلاث لعلها الأهم: 53
الفصل الثالث: عذاب عاد.. 62
الإخبار عن هلاك قوم عاد: 64
إنذار قوم عاد: 65
بماذا أهلك الله قوم عاد: 65
وقفات مع آيات العذاب: 67
هلاك عاد بالريح أم بالصاعقة؟!: 68
هلاك عاد في يوم أو في أيام: 69
عذابهم لعدم إيمانهم، أو لعدم إيمان أكثرهم؟!: 72
سعادة ونحوسة الأيام: 73
السؤال الأخير يجيب عنه القارئ الكريم: 75
الفهرس 79

كتب مطبوعة للمؤلف

1 ـ الآداب الطبية في الإسلام
2 ـ ابن عباس وأموال البصرة
3 ـ ابن عربي سنيّ متعصب
4 ـ الأبواب في عهد الرسول ' : نصوص وآثار..
5 ـ أبو ذر لا إشتراكية.. ولا مزدكية
6 ـ أحيـوا أمـرنا
7 ـ إدارة الحرمين الشريفين في القرآن الكريم
8 ـ أسئلة وردتنا
9 ـ إسرائيل.. في آيات سورة بني إسرائيل.. تفسير ثمان آيات..
10 ـ الإسلام ومبدأ المقابلة بالمثل
11 ـ الإعتماد في مسائل التقليد والإجتهاد (صدر منه جزء واحد)
12 ـ أفلا تذكرون «حوارات في الدين والعقيدة»
13 ـ أكذوبتان حول الشريف الرضي
14 ـ الإمام علي والنبي يوشع '
15 ـ الأمانة الإلهية.. لمن؟! ولماذا؟!
16 ـ أهل البيت ^ في آية التطهير
17 ـ أين الإنجيل؟!
18 ـ بحث حول الشفاعة
19 ـ براءة آدم × حقيقة قرآنية

20ـ براءة يونس × في القرآن الكريم
21ـ البنات ربائب.. قل: هاتوا برهانكم
22ـ بنات النبي ′ أم ربائبه؟!

23ـ بيان الأئمة وخطبة البيان في الميزان
24ـ تخطيط المدن في الإسلام
25ـ تفسير سورة ألم نشرح
26ـ تفسير سورة البيِّنة
27ـ تفسير سورة التكاثر
28ـ تفسير سورة التوحيد (الإخلاص)
29ـ تفسير سورة التين
30ـ تفسير سورة الضحى
31ـ تفسير سورة العاديات
32ـ تفسير سورة الفاتحة
33ـ تفسير سورة الفلق
34ـ تفسير سورة الكافرون
35ـ تفسير سورة الكوثر
36ـ تفسير سورة الماعون
37ـ تفسير سورة المسد
38ـ تفسير سورة الناس
39ـ تفسير سورة النصر
40ـ تفسير سورة هل أتى (جزءان)
41ـ توجيهات في العمل الإداري
42ـ توضيح الواضحات من أشكل المشكلات
43ـ الجزيرة الخضراء ومثلث برمودا؟!
44ـ الحاخام المهزوم
45ـ حديث الإفـك
46ـ حقائق حول القرآن الكريم
47ـ حقوق الحيوان في الإسلام
48ـ حل الألغاز (تعليقة).
49ـ الحياة السياسية للإمام الجواد ×
50ـ الحياة السياسية للإمام الحسن ×

51 ـ الحياة السياسية للإمام الرضا ×
52 ـ خسائر الحرب وتعويضاتها
53 ـ خلفيات كتاب مأساة الزهراء ÷ (ستة أجزاء)

54 ـ دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام (أربعة أجزاء)
55 ـ دراسة في علامات الظهور
56 ـ دليل المناسبات في الشعر
57 ـ ربائب الرسول ′ «شبهات وردود»
58 ـ رد الشمس لعلي ×
59 ـ زواج المتعة (تحقيق ودراسة) (ثلاثة أجزاء)
60 ـ الزواج المؤقت في الإسلام (المتعة)
61 ـ زوجات الإمام الحسن ×: أكاذيب وحقائق
62 ـ زينب ورقية في الشام!!
63 ـ سلمان الفارسي في مواجهة التحدي
64 ـ سنابل المجد (قصيدة مهداة إلى روح الإمام الخميني وإلى الشهداء الأبرار)
65 ـ السوق في ظل الدولة الإسلامية
66 ـ سياسة الحرب في دعاء أهل الثغور
67 ـ سيرة الحسن × في الحديث والتاريخ (المجتبى من سيرة المجتبى)
68 ـ سيرة الحسين × في الحديث والتاريخ (أربعة وعشرون جزءاً)
69 ـ شبهات يهودي
70 ـ الشهادة الثالثة في الأذان والإقامة
71 ـ الصحيح من سيرة الإمام علي × (ثلاثة وخمسون جزءاً)
72 ـ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ′ (خمسة وثلاثون جزءاً)
73 ـ صراع الحرية في عصر الشيخ المفيد
74 ـ طريق الحق (حوار مع عالم جليل من أهل السنَّة والجماعة)
75 ـ ظاهرة القارونية من أين؟! وإلى أين؟!
76 ـ ظلامة أبي طالب ×
77 ـ ظلامة أم كلثوم
78 ـ عاشوراء بين الصلح الحسني والكيد السفياني

79 ـ عاد الثانية.. كيف نعرفها؟! (هذا الكتاب)
80 ـ عصمة الملائكة بين فطرس.. وهاروت وماروت
81 ـ علي × والخوارج (جزءان)
82 ـ عهد الأشتر مضامين ودلالات (جزءان)

83 ـ الغدير والمعارضون
84 ـ القول الصائب في إثبات الربائب
85 ـ كربلاء فوق الشبهات
86 ـ لست بفوق أن أخطئ من كلام علي ×
87 ـ لماذا كتاب مأساة الزهراء ÷؟!
88 ـ مأساة الزهراء ÷ (جزءان)
89 ـ مختصر مفيد (أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة)، (واحد وعشرون جزءاً)
90 ـ مراسم عاشوراء «شبهات وردود»
91 ـ المسجد الأقصى أين؟!
92 ـ المعجزات: رقي وغايات، للبشر في الحياة
93 ـ مقالات ودراسات
94 ـ من شؤون الحرب في الإسلام
95 ـ منطلقات البحث العلمي في السيرة النبوية
96 ـ المواسم والمراسم
97 ـ موقع ولاية الفقيه من نظرية الحكم في الإسلام
98 ـ موقف الإمام علي × في الحديبية
99 ـ ميزان الحق «شبهات وردود» (أربعة أجزاء)
100 ـ نقش الخواتيم لدى الأئمة ^
101 ـ وقفات مع ناقد
102 ـ الولاية التشريعية
103 ـ ولاية الفقيه في صحيحة عمر بن حنظلة
104 ـ الگوى سيره پژوهى وانديشه هاى اسلامى (فارسي)
105 ـ تحقيقي در باره تاريخ هجري (فارسي)